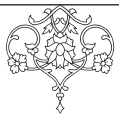
إخبارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
في نهـــــــج البلاغـــــة



إخبارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
في نهج البلاغة

سلسلة محاضرات ألقاها في مركز أمير المؤمنين عليه السلام
للدراسات والبحوث التخصصية في النجف الأشرف

أ.د. عباس علي الفحام

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية
Imam Amir Al-Mu'mineen (peace be upon him)
Center for Speciazlied Studies and Research

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز
العراق - النجف الأشرف
٠٧٧٢١٥٨٤٧٧٧

هوية الكتاب

- العنوان: إخبارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.
- المؤلف: أ.د. عباس علي الفحام.
- اشراف ومراجعة: مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية.
- تخريج الايات والاحاديث: م. هاشم محمد الباججي.
- الناشر: مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية - النجف الأشرف ، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م.
- المطبعة: مطبعة الثقلين - النجف الاشرف.
- التنضيد الإلكتروني: محمد باقر رحيم الحسناوي.

التصميم والإخراج الفني
أحمد مكي جعفر

AGENCY
وكالة ام الإعلانية 078 2690 1443



In the Name of Allah,
the Most Beneficent, the Most Merciful

المحتويات

مقدمة المركز ٩

المبحث الأول ١١

الإبداع العلوي في نهج البلاغة ١١

المبحث الثاني ٢٧

تقسيم الإخبارات ٢٧

ثورة الزنج ٣٩

غرق البصرة ٤٠

المصادر ٤٣

مقدمة

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد

لقد كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام متصلاً بوحي السماء ومُطلعاً على مكنون العلم الإلهي بوساطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى سمّاه الله سبحانه نفس رسوله في آية المباهلة في القرآن المجيد، فكان بحق باب مدينة العلم الرباني الذي أودعه رب العزة في صدر سيد المرسلين واختص به حبيبه خاتم النبيين، فأصبح أمير المؤمنين عليه السلام قطب الرحى ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، وقد وصل به الأمر إلى أن قال: «إنّا لأمراء الكلام، وفينا تنشّبت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه»، حيث إن كلامه عليه السلام كان بحق في قمة الفصاحة وارتقى إلى ذروة البلاغة.

وقد عمل كثير من العلماء والمؤرخين في سالف العصور على جمع ما انتشر من كلام الإمام في بطون أمهات المصادر، وترتيب ما تبعثر في الفصول والأبواب، فكان من أجمل ما تدوَن من مختارات بديع كلام علي عليه السلام كتاب نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي (رضوان الله عليه) في العام ٤٠٠ من الهجرة، فكان نهج

البلاغة طوال القرون مناراً يهتدي به العالَمون، ويستضيء بنوره العالِمون، وكان بحقٍ التالي بعد كتاب الله سبحانه من حيث إعجاز الكلمة ونصاعة المحتوى وعظمة المعنى، ومن هذا المحتوى الراقي أخرج الدكتور عباس الفحام بعض الإخبارات التي تنبأ بها الإمام للمستقبل، ففي يوم بهيج وذكرى ولادة الإمام الحجة بن الحسن (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، أقام مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية ندوة فكرية ثقافية في سلسلة محاضرات لثلاثة أيام متتالية من ٩ – ١١ شعبان ١٤٤٣هـ بعنوان (إخبارات الإمام عليه السلام في نهج البلاغة) ألقاها الأستاذ الدكتور عباس الفحام، فقد سلط الضوء على إخبارات الإمام المستقبلية بما يسمى اليوم بعلم الاستشراف المستقبلي، لإظهار المكنون من علوم محمد وآله (صلوات الله عليهم اجمعين) لاسيما الإمام أمير المؤمنين وسيد الوصيين ووصي رسول رب العالمين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، وقد عمل المركز على تحويل هذه المحاضرات إلى كراس ليكون منهلاً عذباً للقراء والباحثين. والله من وراء القصد.

النجف الأشرف رجب الاصب ١٤٤٣ هـ
مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية



المبحث الأول
الإبداع العلوي في نهج البلاغة



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آل بيته الطاهرين وبعد:

فإنه ليسرني كثيرا أن أكون بينكم لنلقي بعض الضوء على هذا الأثر البالغ، أعني به نهج البلاغة وعرض إخبارات الإمام عليه السلام فيه.

فما هو نهج البلاغة؟

نهج البلاغة هو مجموعة مختارات، جمعها الشريف الرضي المتوفى (٤٠٦هـ) من بطون الكتب التي سبقته، وهو أعلن في مقدمته أنها اختيارات أخذها من خطب الإمام عليه السلام، وقد أحسن كثيراً في جمعها، فهي إذن ليست كل كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بل اختيارات سمّاها محاسن الكلم، إذ وضع لنفسه أسساً صرح عنها في المقدمة، وقال: (فأجمعت بتوفيق الله جلّ جلاله على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب)[1]، ويكرر كثيراً محاسن البلاغة وقد أجاد فعلاً، لأن نهج البلاغة يختلف كثيراً عن المستدركات على الشريف الرضي من جهة المبنى، ومن جهة متانة الجملة وسبكها، وفي مناقشتنا لطلبتنا نلحظ هذا الفرق الكبير بينها وبين كلام أمير المؤمنين المجموع في نهج البلاغة.

وأقول إن الكلام المجموع في نهج البلاغة ليس فيه هنة واحدة، وهذه من عجائب هذا الكتاب، ما فيه ولا خطأ في بناء الجملة،

١- نهج البلاغة، الشريف المرتضى، خطب الإمام علي، ج١، ص١٢

ولا في التركيب البياني، والذين رموا الكتاب بالوضع من كبار نقاد مصر في الخمسينات والستينات جانبوا الصواب والحقيقة، لأن حججهم واهية، وقد ردها كتّاب آخرون كالسيد عبد الزهرة الحسيني في مصادر نهج البلاغة وأسانيده، والسيد الجلالي في (توضيح نهج البلاغة)، لذا أصبح الحديث عن صحة نسبة ما في الكتاب إلى أمير المؤمنين مضيعة للوقت لأنه كتب فيه كثيراً لتفنيد الادعاءات كما تقدم.

ومن هذه الإشكالات أن هذا الأسلوب المنطقي الوارد في الكتاب ما كان موجوداً في عصر الإمام من قبيل قوله: (بني الإسلام على أربع)[١] أو (بني الكفر على أربع)[٢]، وكأن من ذنب الإمام إذا كان قد سبق عصره، بينما الحديث النبوي فيه هذه التقسيمات والقرآن الكريم فيه تقسيمات منطقية، فلذلك الأولى أن نعرض عن هذه التقولات غير المبنية على أسس علمية، فهي مجرد إعادة لما قاله ابن خلكان مبنية على نوع من التطرف الفكري في الحقيقة.

ولكن دعنا ننظر إلى عظمة هذا الكلام من جهة تأثره بالقرآن الكريم، فهو من البلاغة العالية التي يفتخر بها اللسان العربي، بأن يكون بهذا المستوى المبكر للأثر القرآني في الكلام العربي، لأن الكلام العربي في عصر فصاحته الحقيقية في عصر النبوة وما تلاه لم يتأثر بالأدب القرآني كما ينبغي له التأثر، حيث لم يفسد اللسان بالاختلاط بعد، حتى ندعي فساد اللغة في هذا العصر من زمن

١- حلية الأولياء، الاصفهاني، رقم الحديث ٢٢٥
٢- ميزان الحكمة، الريشهري/ ج٣، ص ٢٧١١

نزول القرآن إلى سنة ٤٠هـ، بينما التأثير الحقيقي لا نلمسه إلا في لسان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ونحن دائماً نستثني رسولنا الأعظم صلى الله عليه وآله من هذا الكلام فهو نبينا، والإمام نفسه يفتخر أنه ربيبه وتلميذه.

والتأثر الحقيقي بالقرآن لأنه السر في تميز نهج البلاغة، وتميز كلام الإمام أمير المؤمنين من غيره، وهذا مدعاة سؤال أكبر هو أنه إذا كان العصر عصر النبوة وما تلاه هو عصر الفصاحة والشعر العربي، فأين الشعراء الجاهليون الذين تحداهم القرآن؟ أين الخطباء الكبار؟ لماذا انكفأوا، ولم يعد لهم تميز في الكلام؟

وأحسب أن السبب قلة التأثر بالأدب القرآني، كيف؟ لأن القرآن جاء بفكر جديد، الفكر الجديد يحتاج إلى وعاء لغوي جديد، يتناسب والفكر القرآني كعمق بناء الإنسان، وكمال التشريع ومواكبة الحياة إلى يوم يبعثون،هذا ليس له نظير في العقلية العربية قبل نزول القرآن، فمعاني التوحيد التي جاء بها القرآن الكريم على سبيل المثال ليست موجودة في الفكر العربي بهذا العمق والسعة، وإنما كانت مجرد إشارات في التوحيد وخطرات بلغة هذا الخطيب أو ذاك، ليست بمستوى ما قدمه القرآن، وأصّله أمير المؤمنين في نهج البلاغة، فقد كان أكثر كلامه عليه السلام فيه يتعلق بالتوحيد، لأن أغلب كلامه يجلبه إلى حظيرة إثبات الوحدانية، وهكذا هي خطبه في خلق الحيوان، كالجراد والطاووس والخفاش والنملة.

ستجد الإمام أمير المؤمنين يفاجئك بأن من وراء الغرض قضية التوحيد، كقوله في آخر كلامه في خلق النملة: (فاطر النملة هو

فاطـر النخلـة)[١]، كأنـما صفـة وحـدة الوجـود حـاضرة في لسـانه.

هـذا العمـق في الـكلام غير موجـود في الـكلام العـربي، لا قبـل القرآن ولا بعـده، وأمامنـا كتـاب (جمهـرة خطب العـرب) ويسـتطيع الفـرد جمعها ومقارنتهـا بـكلام الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام، وسـيجد الفرق.

ولكــن لمــاذا لم يســتطع خطبــاء العــرب وشــعراؤهم أن يكونــوا بمسـتوى التأثـير القـرآني؟ الإجابـة: لأنهـم قـاصرون في فهـم بنـاء الجملـة القرآنيــة، وقــاصرون عــن أداء معانيــه، لأن معانيــه جديــدة ولا يقــدر المثقـف وهـو الشـاعر والناثـر أن يسـتوعبها في مـدة قصـيرة مـن الزمـن، لأنــه ليــس معتــاداً عليهــا، فالشــاعر مثــلاً لم يعتــد عــلى مــدح نبــيٍ، ولا يعــرف حــق معرفتــه، فلغــة شــعره تســتقي مــن طريقــة مــدح وجهــاء القـوم، ومـن هنـا لمـا انـبرى شـعراء قريـش لهجـاء الرسـول صلى الله عليه وآله استدعى النبـي صلى الله عليه وآله بعـد المشـورة حسـان بـن ثابـت وكان أول إشـكاله عليـه أن كيـف سـترد عليهـم وأنـا منهـم؟

وذلـك لأنـه صلى الله عليه وآله يعلـم طبيعـة الخطـاب عنـد الشـعراء في التهاجـي، إنــه أميــل إلى الســباب والشــتائم، ويمكــن مراجعــة كتــاب (النقائــض) لجريـر والفـرزدق فيـدرك مـا نقصـد، وشـعر الهجـاء في اللغـة القديمـة يميـل إلى اللغـة الصريحـة، غـير مراعيـة للحيـاء، والرسـول صلى الله عليه وآله بحكـم ثقافتـه ومعرفتـه ببيئتـه الأدبيـة، يعـرف كيـف يفكـر الشـعراء، فأجابـه حسـان بقولـه: سأسـلك مـن بينهـم كـما تسـل الشـعرة مـن العجـين[٢]، وحسـان قـد أجـاد في بعـض ردوده وأخفـق في أخـرى.

١- نهج البلاغة، الشريف الرضي، خطبة ١٨٥.
٢- فتح الباري، ابن حجر، ج٦ ، ص٦٢٩

والأصمعي قال: (شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام)[١] يعني كقيمة فنية أفضل منه بكثير، نحو قصيدته في مدح الغساسنة:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

والمقارنة بين قصائده في الإسلام مع نظيراتها في الجاهلية تكشف وجه الصحة، والأصمعي أدرك ذلك فقال معللاً: (الشعر نكد بابه الشر، إذا دخل فيه الخير لان)[٢]، ومن هنا تبدو فرضية توهين الإسلام للشعر غير واقعية، وإنما الإسلام أراد من الشعر والشاعر الالتزام والتهذيب، ولم يحارب الفن بما هو فن، إنه حارب الابتذال فيه، كما في بعض قصائد امرئ القيس الخالية من الحياء، نعم أراد أن يكون الشاعر بمرتبة عالية من الإنسانية، وأن يكون بمستوى عال من التهذيب.

على أي حال كان للشعراء لغتهم التي اعتادوها، فلا يستطيع الشاعر أن يكون بمستوى هذا الفكر القرآني، فليس ثمة شاعر أو ناثر من ذلك العصر كتب في التوحيد أو الموت كما كتب الإمام أمير المؤمنين ﷺ، فخطبه وحدها في التوحيد، واستعير كلمة الشهيد مطهري في نهج البلاغة: (ولعلنا نستطيع أن نعد البحوث التوحيدية في نهج البلاغة من أعجب بحوث هذا الكتاب، فإنها بدون مبالغة، ومع الالتفات إلى الشرائط الزمانية والمكانية للصدور، تقرب من حدود الإعجاز)، ولذلك كان ينبغي الافتخار بهذا الكلام وليس التشكيك فيه.

١- الأصمعي، حجة الادب ولسان العرب، تركي بن الحسن الدهماني ٢٠١٣، ص ١٧٧
٢- الشعر والشعراء، الدينوري، ج ١، ٢٩٦

إن أرقى الشعراء كأبي تمام والمتنبي، وأفضل الكتاب لو قورن ما كتبوا بلغة نهج البلاغة سيبدو الفرق واضحاً في استعمال اللغة واختيار المفردة، بل أقول: إذا قارنت الديوان المنسوب للإمام بما جمع في نهج البلاغة ستجد أن الإمام شاعر في نهج البلاغة وأن الشاعرية فيه وحده من دون حاجة إلى نظم.

قال الدكتور علي جواد الطاهر: سألت أستاذي البصير هل كان الإمام علي شاعراً، فأجاب: نعم كان شاعراً، ولكن في خطبه ورسائله، باعتبار أن الشاعرية أكبر من أن تحد بقوالب من الشعر[١].

اختار الشريف الرضي تسمية موحية جداً للكلام الذي اختاره وجمعه ممن سبقه، ولم يسبقه فيه بهذه التسمية أحد، حين سماه (نهج البلاغة)، وهو من أحفاد الإمام الكاظم عليه السلام، فهو وأخوه الشريف المرتضى معجزة العصر، وقد توفي في ربيع شبابه، ولعفة نفسه لم يقبل صلة من أحد حتى من أبيه نقيب الطالبيين، وكان لشرف نفسه يخاطب المقتدر بقوله:

مهلاً أمير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق

إلا الخلافة ميزتك فإنني أنا عاطل منها وأنت مطوق

ونقرأ للرضي مراسلات أدبية وهو في عمر الفتوة السابعة عشر ربيعاً مع صديقه وأستاذه أبي إسحاق الصابي الذي بلغ السبعين عاماً، وما هي إلا صحبة الإبداع والأدب البارع، فالصابي صديق

١ – الإمام علي عليه السلام ليس شاعراً، ا.م.د. حسن عبد المجيد الشاعر، مقالة نشرت في موقع كلية الآداب ١٣/ ٣/ ٢٠١٨

والـد السـيد الـرضي، ولكـن لإعجابـه بهـذا الفتـى حتـى جـرت بينهـما رسـائل أدبيـة.

فكيـف يـأتي أحـد بعـد ذلـك وبهـذه الاعتباطيـة ويتهـم الشريـف الـرضي بالوضـع والتدليـس.

أما السؤال على أي أسس جمع الرضي كلام الإمام؟ فنقول:

إن ظاهـر الاختيـارات عامـة كانـت سـمة العـصر العبـاسي آنـذاك، كاختيـارات المفضـل الضبـي[١] واختيـارات ابـن الشـجري[٢]، بـل وكتـب الحماسـة مـن الاختيـارات أيضـاً.

وهكـذا جـرى الـرضي في منـوال عـصره، فوضـع تآليفـه عـلى ذلـك النحـو فتفسـيره للقـرآن الكريـم واسـمه (تلخيـص البيـان) عـلى شـكل اختيـارات، وكتـاب المجـازات النبويـة أيضـاً اختيـارات، وكذلـك نهـج البلاغـة مـن كتـب الاختيـارات.

ويبـدو أن كتابـه (نهـج البلاغـة) كان في المرحلـة الأخـيرة مـن عمـره،

١- المفضّـل بـن محمّـد بـن يَعـلى بـن عامـر، ينتهـي نسـبه إلى ضبّـة بـن أدّ، ويكنـى بـأبي العبّـاس وأبي عبـد الرحمـن (٩٨ – ١٧١هــ)، أحـد الـرواة الثقـاتِ لأشـعار العـرب وأخبارهـا وأيامهـا، وأحـد قـرّاء القـرآن الكريـم؛ ويُعـدّ مـن علـماء الكوفـة، وُلـد ونشـأ فيهـا، ومـن تلاميـذه المشـهورين أيضـاً: الفـرّاء، والكسـائي، والمدائنـي، وأبـو عمـرو الشـيباني، وعُمـر بـن شـبّة.
وللمفضـل مِـنَ الكتـب غـير المفضليـات: «كتـاب في العـروض»، «كتـاب معـاني الشـعر»، «كتـاب الألفـاظ»، «كتـاب أمثـال العـرب»، وقـد وصـل إلينـا منهـا «المفضليـات» و«أمثـال العـرب». للمزيـد راجـع: المفضـل الضبـي، أمثـال العـرب،دار و مكتبـة الهـلال، بـيروت ٢٠٠٣.

٢- ابـن شـجري، أبـو السّـعادات هبـة اللهّ بـن عـليّ العلـويّ الحسـنيّ (٤٥٠ هــــ ٥٤٢ هـ)، نحـويّ و لغـويّ و أديـب و شـاعر شـيعيّ. سـمّي بالحسـنيّ نسـبة إلى نسـبه الـذي يصـل إلى الإمـام الحسـن المجتبـى ﷺ. تـرك آثـارا عـدة منهـا كتـاب الأماليّ،الحماسـة، مختـارات شـعراء العـرب، منظومـة ابـن الشجري.(سـير اعـلام النبـلاء، الذهبـي، ج٢٠، ص١٩٦)

وليت شعري ماذا سيرفد المكتبة من درر لو مد الله بعمره قبل أن يرحل في عمر الربيع.

فنهج البلاغة كان قبل كتاب المجازات النبوية، لأن في المجازات يشير إلى نهج البلاغة، ومن بين مزايا كلام أمير المؤمنين التردد في نسبته بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله، فالرضي وقد كتب في الحديث النبوي أشار إلى ذلك، وهي فريدة لكلام الإمام لا يدعيها أحد بعده على الإطلاق.

ومنه ما ذكرْ الشريف الرضي في قوله: (الحجر الغصيب رهن على أهلها بالخراب)[1]، فيقول: إنه يروى هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله ولا عجب أن يتشابه الكلامان لأن مستقاهما من قليب ومفرغهما من ذنوب.

وثمة أكثر من موضع فيه نهج البلاغة فيه مثل هذا التردد بالنسبة بين الرسول الأكرم وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم).

ولم يحدثنا أحد بإنكار هذا الترديد على الإمام، ولا يجرؤ أحد أن يقول مثل ذلك لأنه ليس بغريب عليه، فقد تربى في حجر النبوة، وهذه واحدة من أسرار عظمة أمير المؤمنين، فهي تثبت أين تربى ومن أين أخذ لغته وثقافته.

فالآن نحن عرفنا سر التميز في نهج البلاغة، وهو القرآن الكريم، وقد وضعتُ في ذلك كتابا أسميته (الأثر القرآني في نهج

١- شرح حكم نهج البلاغة،الشيخ عباس القمي، ص ٩٣

البلاغة) وقد طبع أكثر من مرة فشكراً للعتبة العلوية المقدسة، لاسيما الأستاذ الراحل أبو أسماء الأزيرجاوي(رحمه الله تعالى)، والأخ هاشم الباججي، لمساهمتهما بطبع الكتاب ونشره، وقد أثبت فيه أن سر الفرادة هو القرآن الكريم، والموضوع ليس سهلاً، أن يتأثر الإمام أمير المؤمنين بالقرآن الكريم ولا يتأثر به غيره، وأنا أقصد التأثر العميق، وليس استعارة مفردة أو عبارة، فالمسألة تتعلق بكيفية تغلغل الفكر العميق الجديد في نفوس الأدباء المؤمنين ثم يعيد صياغته كما فعل أمير المؤمنين، ولهذا فلا غرابة أن يتحدث الإمام عليه السلام عن الإخبارات.

والإخبارات تندرج بهذا الإطار ضمن هذه العظمة، عظمة الذوبان بالقرآن ونبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعظمة الإمامة، فنحن نأخذها بالأسباب الطبيعية بالإضافة إلى القدسية، فالإخبارات استشراف المستقبل وهو ليس حديث الغيب، فالغيب من علم الله وحده، قد يعلم الله به أولياءه، غير أن من الغيوب ما اختص الله به وحده كعلم الساعة.

واستشراف المستقبل من علوم العصر اليوم، يقيمون لديه الدراسات الإحصائية، لاستباق خطره، كالتنبؤ بنهاية العالم، وظاهرة المناخ، فهذه كلها تعتمد على استشراف المستقبل والاحتباس الحراري حيث يعتمد العلماء على بيانات ومعطيات وكذلك نقص الماء والجفاف، غير أن استشراف الإمام أمر آخر، فهو حديث بتعليم من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لا يستطيع تفسيره العقل، فالعقل لا يفسر

كل شيء، فالقرآن إعجاز، والإعجاز كما تعلمون خرق للعادة وخرق لقانون العلية الذي بنى الله فيه نظام مملكته.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يندرج ضمن هذا الإطار، فهو يحدّث الناس عن المستقبل، وهم بين منافق ومؤمن ومصدّق وشاك، الشاك، قال له رجل وكان كلبياً: (لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك الإمام وقال: يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عدد الله سبحانه بقوله: (إن الله عنده علم الساعة) الآية، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد، ومن يكون في النار حطبا، أو في الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيه فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي)[1]، وهو يعني تعليم الرسول صلى الله عليه وآله له، والإمام كان يقول: (والله ما أسمعكم شيئا إلا وسمعته من رسول الله).

فهذا كله من رسول الله صلى الله عليه وآله،ويقول: (بل اندمجت على علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة)[2].

والإمام يشرح لهذا الشخص أنه تعلم من ذي علم، في إشارة إلى قربه الروحي والمعنوي من الرسول صلى الله عليه وآله باعتباره أنه الوصي من بعده.

١- نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.

٢- نهج البلاغة/ الرضي، خطب الإمام، ج١ ، ص٤١

فهو يشير الى قضية مهمة بالعلم وهي أن رواته كثير ووعاته قليل، وفي ثنائه على أهل البيت عليهم السلام، دائماً ما يشير إلى أن العلم ليس للحفظ وإنما للفهم. فهذا هو علم الغيب فهناك مختصات بالعلم، خاصة بالله عز وجل لم يطلع عليها أي أحد من خلقه كيوم القيامة، فلا نبي ولا وصي يعرف متى الميعاد، لأنه ليس من مصلحة العباد معرفة هذا الأمر، وماهية الروح كذلك، لا أحد يعلم سرها، فهو من مختصات الله، وعدا ذلك علم يتعلمه.

مواهب الإمام عليه السلام

وقد كانت للإمام عليه السلام فرائد تميز بها عن غيره في الفصاحة وفي الكلام وتفوق على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من الصفوة في الكلام، لأن بعضهم ألهاهم الصفق في الأسواق عن إدراك الغامض من تفسير مفردات الكتاب العزيز، كتفسير قوله تعالى ﴿ **وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ** ﴾[1]، ففسرها الإمام عليه السلام انطلاقاً من سياقها القرآني من جهة ومن مفهومها اللغوي من جهة أخرى بالكلأ والمرعى وقال: (إن قوله وفاكهة وأباً) اعتداد من الله بإنعامه على خلقه فيما غذاهم به، وخلقه لهم ولأنعامهم، مما تحييا به أنفسهم وتقوم به أجسادهم)[2] فقد كانوا لا يعرفون ما معنى (الأب) فدلهم على معناها من سياق ما بعدها.

والجاحظ يقول: إن رسول الله ابتدع أوضاعاً تركيبية في الكلام لم يألفها العرب، والرسول قال: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)، وقال:

١-(عبس): ٣١-٣٢

٢- ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٨

(أنا أفصح من نطق بالضاد)[١].

وقال: من أراد البقاء ولا بقاء فليخفف الرداء... فقيل له يا رسول الله: ما معنى تخفيف الرداء؟ فقال: قلة الدين[٢].

فليس هناك أحد تربى في حضن هذه المدرسة كالإمام علي عليه السلام، فما هي الغرابة في أن يأتي بالحكمة وقد أذهلت السامعين، وكان عليه السلام يقول: (ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة)[٣].

وفصاحة علي عليه السلام يقر بها حتى عدوه، فقد قيل إن رجلا دخل على معاوية، وحين سأله من أين جئت؟ قال: جئتك من أعيا الناس، فقال معاوية: ويحك، وهل سن الفصاحة لقريش غير علي بن أبي طالب[٤].

ولم تكن قريش معروفة بالفصاحة، لأن المشهورين بالفصاحة أهل البادية والشعراء والخطباء منهم كأصحاب المعلقات، فكلهم من البدو، وليس فيهم من الحواضر كمكة، لأن العرب لا تقر بالجودة في الكلام لأهل المدن، فلا يأخذون منها اللغة لان فيها فساداً بالألسن، وعندما جمع العرب اللغة ذهبوا الى البوادي.

وفي طبقات ابن سلام في فحول الشعراء أسند طبقة خاصة أسماها

١- اعيان الشيعة، محسن الامين، ج ١، ص ٥٤٢
٢- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٣، ص ٢٨٠
٣- بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٤، ص٤٧٦
٤- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٢٧٩

شعراء المدن، كأنه يميزهم عن غيرهم من الطبقات المجيدة، واللغة بعد أصلها الصحراء ومادتها اللغوية منها، فالشعر مصطلحاته كلها من الصحراء.

وقريش لم تكن معروفة بعلم الكلام ولا خطب التوحيد، وربما سمع من بعض الخطباء إشارات في التوحيد، لأنهم قوم وثنيون، ولا ريب في أن فرادة أمير المؤمنين من مدرسة محمد صلى الله عليه وآله، ومدرسة القرآن وهما اللتان بموهبة أمير المؤمنين عليه السلام أنتج هذا الكتاب، إذ ليس له نظير، ولولا أن السياسة الفاسدة أفسدت علينا أعظم كلام قاله الإنسان، وهو الكلام النبوي لكان بين أيدينا ألف نهج نبوي، سوى النهج العلوي، ولكنها السياسة التي منعت جمع الحديث النبوي، وبدلاً منه عمدوا إلى وضع الأحاديث المزورة التي لا تتناسب وبلاغة النبوة، فابن عاشور[1] هذا المفسر الكبير يأخذ بحديث الثريد: (فضل السيدة عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام)[2]، فهذا شيء عجيب على شخص مفسر للقرآن.

وكان لابد من هذه المقدمة عن الإخبارات، لأنها تفتح الطريق لمعرفتها، لأنها تتطلب فهماً من المتلقي حتى لا يقع السامع في وهم معرفة الغيب على نحو الاستقلال، فهناك خطب تحدث بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخبر عن أفراد، وأخبر عن وقائع وأحداث عظيمة ستحصل، وأخبر عن ملاحم الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، سنتحدث عنها لاحقاً.

١- تفسير العدل والاعتدال، محمد عاشور، ص ٢١٨

٢= فتح الباري، ابن الحجر، ح٩ ، ص ٣٦٢



المبحث الثاني
تقسيم الإخبارات



تقسم الإخبارات عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: عن الأفراد.

القسم الثاني: الإخبار عن الظهور الموعود، وهي لا شك نفيسة للغاية وتحتاج إلى تدبّر وإحاطة.

القسم الثالث: الإخبار عن الملاحم والحوادث.

أما التي عيّن فيها الأفراد فهي لا تحتاج إلى كثير من الجهد لمعرفتها لأن دلالتها واضحة، فمثلاً أخبر الإمام ﷺ عن نفسه، وأخبر عن الحجاج وعن مصير معاوية، وعن مروان بن الحكم وأولاده.

وثمة أمر لافت هو أن أغلب إخبارات الإمام لا تأتي على شكل قصص، وإنما يربطها بواقع الناس، لأن الغرض الأساس من إيرادها في الغالب أخذ العظة والاعتبار.

قال أمير المؤمنين ﷺ، وهو يخاطب الناس لأجل وعظهم: (فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل عليهم السلام، فما أشد اعتدال الأحوال، وأقرب اشتباه الأمثال، تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أربابا لهم، يحتازونهم عن ريف الآفاق، وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى منابت الشيح، ومهافي الريح، ونكد المعاش)[1].

١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي ﷺ ، ج ٢٢ ص ١٥٣

ونبات الشيح نبات صحراوي معروف في أرض الجزيرة، ويريد أن العرب أبعدوا عن الشام والعراق بغضاً لهم، إلى الصحراء، ولم يأتوا إلى العراق والشام إلا مع جيوش الفتح، وما قاله الإمام من الملاحم الغائبة عن التاريخ، لأن ولد إسماعيل من العرب عانوا الأمرين من مشقة الحياة بسبب تفرقهم وتشتت كلمتهم، بينما أبناء إسحاق عاشوا ملوكاً مرفهين.

ولنبدأ بنفس الإمام عليه السلام فقد كان يخبر عن نفسه كثيراً، ومنها قوله يخطب على منبر الكوفة وهو يأخذ بلحيته: (متى ينبعث أشقاها فيخضب هذه من هذه)[1].

وكان ممن أخبر عنه مروان بن الحكم، ففي نهج البلاغة ذكر أنه أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلماه فيه فخلى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: أو لم يبايعني بعد قتل عثمان، لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية، لو بايعني بكفه لغدر بسبته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر[2].

ويعني بولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام، ولقيت الأمة منهم أياماً سود من البلايا.

وممن حذرّ الأمة منه الحجاج بن يوسف الثقفي، نحو قوله:

١- اسد الغابة في تعيين الصحابة - ابن الأثير، ج٤، ص١١٧

٢- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٦، ص ١٤٦

(أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم إيه أبا وذحة)[١]، وهذا الكلام من الأعاجيب، وكان الحجاج معروفا بتكبره في مشيته، وكان المظلومون في حبسه يناشدونه الرحمة بعدما تولى الكوفة فيقول لهم: (اخسئوا فيها ولا تكلمون)[٢] مستعيراً خطاب الله لأهل النار، كأنه ينزل نفس منزلة الله جل عن ذلك الله، ورأى منه أهل السواد يوماً أحمر.

والوذحة دويبة مثل الخنفساء ابتلاه الله في خراج في دبره، فكان لا يهدأ إلا إذا جيء بهذه الحشرة في هذا المكان.

ولهذا الناس في عجب في شأن أمير المؤمنين لأن أعداءه على كثرتهم وسطوتهم لم يقدروا على التعمية على حقيقة أمير المؤمنين، وبالمناسبة إن أغلب الإخباريات التي جاء به أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه يأتي بها بصيغة (كأني، أو لكأني) بحيث ينزل المشهد الذي يريد أن يحكي عنه منزلة المشاهدة بسبب علمه الراسخ الذي تعلمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد خاطب الكوفة بقوله: (كأني بك تمدين مد الأديم العكاظي)[٣].

والكلام كناية عن شدة المآسي التي تحصل بعد أمير المؤمنين على أهل الكوفة، بعضه يصعب تحديده في أي زمن، ولهذا هو يربط حدث اليوم الذي هو فيه بالمستقبل، لأن مقدماته في كلامه تقول ذلك، فهو عليه السلام يستشعر ضعف المجتمع وفكاكه وتشتت وحدته، محذرا من أن يسلط عليه الذيال الميال في كل عهد.

١- نهج البلاغة، خطب الإمام، ج١، ص٢٢٠
٢- معالم الفتن، سعيد ايوب، ج٢، ص٣٣٥
٣- نهج البلاغة ، خطب الإمام ، ج ١ ، ص٩٧

ومن عجيب ما قرأت: دخل غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته، وغالب شيخ كبير، ومعه ابنه همام الفرزدق، وهو غلام يومئذ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: من الشيخ؟ قال: أنا غالب بن صعصعة، قال: ذو الإبل الكثيرة؟ قال: نعم، قال: ما فعلت إبلك؟ قال: ذعذعتها الحقوق، وأذهبتها الحملات والنوائب، قال: ذاك أحمد سبلها، من هذا الغلام معك؟ قال: هذا ابني، قال: ما اسمه؟ قال: همام، وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً، فقال: لو أقرأته القرآن فهو خير له، فكان الفرزدق بعد يروي هذا الحديث، ويقول: ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى ألّاّ يفكه حتى يحفظ القرآن، فما فكه حتى حفظه.

فكأن أمير المؤمنين تفرس في وجهه، وقال علمه القرآن هو خير له، لأنه استشرف مستقبله، فقد كان الفرزدق من بعد يجامل الأمويين، فعندما يرى الإمام زين العابدين عليه السلام يمدحه حقيقة، وعندما سأله الإمام الحسين عليه السلام يقول له: قلوبهم معك وسيوفهم عليك، وقد أضاع على نفسه فرصة الانضمام بالركب الحسيني.

أما القسم الثاني من إخباراته عليه السلام فهو ما تحدث به عن الإمام الموعود الحجة القائم (عج)، وإخباراته متناسقة مع الحدث الذي فيه يورد لهم العظة ثم يأتي بالمصداق من أحاديث المستقبل، فمن خطبة طويلة بعد تحميد الله، والتحميد ـ إذا استطردت قليلا ـ علم شحن فيه علماً في دلائل الوحدانية، وعرض فيها أصول التوحيد

كلها، ومنها: (أيها الناس لا يجرمنكم شقاقي، ولا يستهوينكم عصياني، ولا تترامو بالأبصار عندما تسمعونه مني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن الذي أنبئكم به عن النبي الأمي صلى الله عليه وآله، ما كذب المبلغ ولا جهل السامع، ولكأني أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام، وفحص برایاته في ضواحي كوفان، فإذا فغرت فاغرته، واشتدت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته عضت الفتنة أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيام كلوحها، ومن الليالي كدوحها، فإذا أينع زرعه، وقام على ينعه، وهدرت شقاشقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة، وأقبلن كالليل المظلم، والبحر الملتطم، هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف، ويمر عليها من عاصف، وعن قليل تلتف القرون بالقرون، ويحصد القائم ويحطم المحصود)[1].

وقوله: (ولا تترامو بالأبصار)، لأن أحدهم يغمز ويلمز للآخر عندما يسمعون أحاديث المستقبل، ولفظ المبلغ عنى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولفظ السامع عنى به نفسه، والتشبيه في قوله (لكأني) دال على شدة رسوخ ما تعلمه الإمام عليه السلام ما تعلمه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولفظ الظليل مبالغة بالظلالة، وربما أريد السفياني، أو الدجال، والنعيق صوت الراعي بغنمه يعيني بهذا الكلام ظهور الدجال من هناك، وفحص برایاته بضواحي الكوفان يعني به البصرة و الكوفة، أي: جعل مقراته قريبة من الكوفة و البصرة.

ومعنى فغر الفاغرة وهو إذا فتح فمه من شيء يتعجب منه،

١- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج ٧، ص ١٠٠

ومعنى الكنايات: واشتدت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته، وعضت الفتنة أبناءها بأنيابها وماجت الحرب بأمواجها و بدا من الأيام كلوحها، كلها كنايت عن الشدائد، ويراد بقوله: يحصد القائم أي: القائم على الزرع النابت.

فالإمام يتكلم عن الفتن التي تحيط بالعراق والعراقيين من شيعة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، والشريف الرضي لم يأت بالخطبة كاملة، لأن غرضه ليس ذلك، فقد تتناثر أجزاء الخطبة في الكتاب، وهو ما أشار إليه الرضي نفسه في تعليقاته.

وعلى الرغم من العرض الموضوعي في الحقائق التي عرضها الإمام في خطبه الملحمية إلا أنها جاءت بمعالجات أدبية في غاية الفن الذي عرفت به لغة الإمام وسحره البياني، وهذا من أصعب ما يكون على غير الإمام عليه السلام، فالأدباء يبتعدون عن لغة الحقائق.

وفي موضع آخر قال أمير المؤمنين عن المهدي (عج): (يعطف الهوى على الهدى، إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن، إذا عطفوا القرآن على الرأي)[1].

ومنها:(حتى تقوم الحرب بكم على ساق باديا نواجذها، مملوءة أخلافها، حلوا رضاعها، علقما عاقبتها، ألا وفي غد - وسيأتي غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي أعمالها وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة).

١ - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج ٩، ص ٤٠.

ومعنى (يعطف الهوى على الهدى)، أي إن حال الناس في ذلك الوقت مثل الناس في هذا الوقت يجعلون القرآن في خدمة أهوائهم، فيثنون الدين على خدمة أمزجة الوالي، والعطف الإثناء، وقيام الحرب على ساق، كناية عن شدتها، ومعنى (باديا نواجذها)، كناية عن افتراسها للناس، وقوله: (مملؤة أخلافها) بمعنى احتفاؤها بما يخفى على الناس.

ومعنى (تخرج له الأرض من أفاليذ كبدها) أي تخرج له كنوزها المخبوءة، وقوله: (يريكم كيف عدل السيرة)، أي حسن تطبيق الإمام المهدي لشريعة جده بحيث ينطبق قوله على عمله فلا ظلم و لا فساد ولا استئثار ولا أنانية، مما يحقق العدل الاجتماعي الذي حلمت به فلسفات الأرض كلها من مثالية أفلاطون الرومان، إلى كوش الفارسي، وعقد حمورابي، إلى العصر الحديث وظهور نظريات الشيوعية و الرأسمالية و الاشتراكية و القومية و النظريات الإسلامية الحديثة التي فشلت كلها في تحقيق ما تصبو إليه الإنسانية، فيبعث الله بمظهر عدله إلى أهل الأرض فيقيم فيها العدل بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

وقال الإمام ﷺ: (كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل، وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل).

والأديم العكاظي معروف حيث كان الجلد المدبوغ يأتي من عكاظ، والنوازل المصائب الشديدة، والإمام يشير بكلامه إلى زياد

بن أبيه فقد رام أن يجتث أهل الكوفة، وعمل على تهجير أهلها، ذكر التاريخ أن مئة ألف من الأشاعرة هجّرهم زياد إلى بلاد فارس، وهي عملية تغيير ديمغرافي في الكوفة، فهذه الهجرة القسرية التي تتكرر عبر الأزمان مع الطغاة يقصد بها استهداف أتباع أهل البيت عليهم السلام في كل زمان وحتى وقت قريب.

أما القسم الثالث فيتعلق بالإخبار عن الملاحم والحوادث

في الواقع ذكرت في جملة من إخبارات الإمام صلوات الله عليه تتعلق بمصير الأفراد وتتعلق بتفاصيل الظهور المهدوي، ووصلنا الآن إلى القسم الثالث وهو ما يتعلق بتسجيل الحوادث والوقائع المفصلية من ملاحم كما ذكرها وعلق عليها الشريف الرضي، فأقول:

وهنا ثمة مزيتان في قضية الأحاديث المستقبلية، أولاهما: إنها ليست بوارد قصص يحكيها الإمام، وإنما مرتبطة بطبيعة الموقف الذي هو فيه، وهذا من ميزاته عليه السلام، في القدرة على ربط حاضره بمستقبله، ولذا إخباراته ستندرج في المواعظ، وهي في الحقيقة لا تندرج ضمن الإخبارات الصرفة، بل في الحالة التي يعظ ويوجه ويرشد فيها مجتمعه، فيحدث نوعاً من الربط بين حدثه الذي هو فيه وحدث مستقبلي مرتقب، وجعل الحدث المجتمعي مقدمة لما يحذر منه.

والمزية الأخرى أن هذا الحدث المستقبلي الذي اسمه اخبار أو استشراف لرسوخ علمه في ذهن أمير المؤمنين لكونه علماً تعلمه من ابن عمه المعلم العظيم، كأنه يراه، فلذلك يعبر عنه بصيغة التشبيه، فأغلب الإخبارات في نهج البلاغة يبدؤها: بكأني، وكأني، كما تقدم، فيجعل نفسه كأنه يشاهدها ويخبر بها الناس، ففي البصرة بعد يوم الجمل والمجتمع البصري كان منقسماً بين عثماني وعلوي، وذلك بسبب أثر تبعية جيش الفتح، فحين اختار أصحاب الجمل البصرة منطلقاً للخروج عن بيعة الإمام، كان هذا الاتكاء على ميول بعض قبائل البصرة إلى الزبيريين، ومثله تأثر أهل الشام بالأمويين، وهذه من المفارقات التي ينبغي الوقوف عليها، لأنها جيوش تابعة لقادتها لا لدولة الإسلام، ولهذا كثرة مما يسمى بالفتوحات يناقض الفكر الإسلامي، بينما المدن التي قادها أمير المؤمنين بقيت على استقامتها كاليمن، وكذا مكوثه في الكوفة بل وأثره بعد ذلك في البصرة، وإقامة مراكز العلم والقضاء فيها، وانتشار مدارس العلم من الحاضرتين الكوفة والبصرة حيث مدارس التفسير والنحو وعلوم العربية.

ومن هنا يُعلم السبب في اقتراح اليمن على الإمام الحسين عليه السلام مهجراً له، بدلاً من العراق، وهكذا حين اختيرت البصرة للاحتراب الداخلي (الحرب الأهلية) ضد إصلاحات أمير المؤمنين حررها بوقت قياسي جداً واجهض مؤامرة قلب الحكم عليه، فهناك نوع من التآمر مع الشام على تفتيت الدولة الفتية للإسلام، ومن هنا اضطر الإمام إلى الذهاب الى الكوفة، والتاريخ يتعامى عن حقيقة

أن تحرير البصرة تم بأهل الكوفة وقد امتدحهم الإمام لذلك، وقد وبخ الإمام بعض الخائنين من قبائل البصرة والمترددين، لأن هذا العمل الإرهابي لم تفعله قبلهم أمة، فالعصر ليس بعيداً من عصر التوحيد، لأنهم حين أخذوا المدينة عمدوا إلى أقلية من الزنج ونكّلوا بهم، وقتلوهم صبراً ومثلوا بأجسادهم، ويذكر أن هؤلاء الزنوج كانوا من محبي الإمام أمير المؤمنين وكانوا ضخاماً جساماً، استغلوا طاقتهم لحماية مراكز الدولة في البصرة مثل مراكز الشرطة وبيت المال، وقد كان عددهم سبعين نفراً، وفي الحقيقة أن موالاة الأقليات الداخلة في الإسلام في تلك المدة المبكرة من عمر دولة التوحيد محل توقف فأكثرهم من أتباع الإمام كالفرس، لأنهم وجدوا فيه الأبوة والحنو لا الحاكم المتسلط، فأخطاء قيادة الدولة في ذلك الوقت قبل تسلم الإمام قيادة الأمة صنعت طبقيات غير منصفة بين المسلمين تفاقمت يوماً بعد يوم، بسبب كثرة الاجتهادات مقابل النص، ومنها تفاوت العطاءات بسبب الاختلاف في المسميات فالقرشي ليس كالموالي والحر ليس كالعبد، ومع تضخم موارد الدولة بسبب الفتوحات أصبح هؤلاء ذوي تأثير في عمق قرار السلطة، ولا ريب في أن هذه الطبقيات سببت مشكلة في بنية الدولة إلى هذا اليوم، فالنظرة الى الفرس ما تزال على أساس التعنصر الطبقي القومي الذي حاربه الفكر القرآني، بقوله تعالى: (إن أكرمكم أتقاكم).[1]

١- الحجرات، ١٣

ثورة الزنج

وسبب ذكري لهذا الأمر أعني قتل الزنوج في الجمل قول أمير المؤمنين فيما حذر منه أهل البصرة، فمن كلام له عليه السلام فيما يخبر به من الملاحم بالبصرة: (يا أحنف كأني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب، ولا قعقعة لجم، ولا حمحمة خيل، يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام)[1].

وفي موضع آخر: (ويل لسككم العامرة، والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يندب قتلهم، ولا يفتقد غائبهم).

فالإمام يومئ بذلك إلى صاحب الزنج، وهي ثورة دموية أزعم أن لها جذوراً من تهميشهم ومعاملتهم بدونية وقتل أجدادهم في البصرة، فقد أسكنوهم في منطقة السباخ في البصرة منطقة حارة وذات ملوحة، وعاملوهم كعنصر أدنى وبنوع من التعالي، ولهذا صاحب الزنج ادعى ما يسد به نقصه فزعم أنه من ذرية الإمام علي عليه السلام، واستقطب الزنوج إلى ثورته لتلك الأسباب، وقد أهل العراق منهم الويل والثبور، واستمرت ثورته عشرات السنين، قتل فيها آلاف الناس في تلك المدة، ولم يقدر أحد على القضاء عليهم سوى في زمن المتوكل.

١- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج ٨، ص١٢٥

غرق البصرة

ومما قال أمير المؤمنين لأهل البصرة في ذلك الموقف بعد حادثة الجمل: (كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها).

(وفي رواية): (وأيم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة، أو نعامة جاثمة، (وفي رواية أخرى): كأني أنظر إلى قريتكم هذه قد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر)[1].

والبصرة كما هو معروف غرقت أكثر من مرة عبر تاريخها، قال ابن أبي الحديد شارح النهج: (والصحيح أن المخبر به قد وقع، فإن البصرة غرقت مرتين، مرة في أيام القادر، بالله ومرة في أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر، حسب ما أخبر به أمير المؤمنين ﷺ، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام، وخربت دورها، وغرق كل ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها، وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة، يتناقلها خلفهم عن سلفهم)[2].

١- نهج البلاغة ، خطب الإمام ، ج١ ، ص ٤٥

٢- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج١ ، ص٢٥٣

غزو المغول

وحدّث الإمام ﷺ عما سيحل بأهل العراق فأشار إلى غزو المغول وسقوط بغداد سنة ٦٠٦ للهجرة، ويسميهم الترك، فقال: (كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أقل من المأسور)[1].

والترك ليس هؤلاء الترك، إنما المراد بهم المغول، فقد كانوا يسمون بذلك، وهم أهل خشونة وجفاء وبداوة.

وشبّه وجوههم بالمجان المطرقة، أي التروس التي تطرق بالجلد والعصب فتتصل طبقاته وينضم بعضه إلى بعض، وهذا الوصف ينطبق تماماً على أشكال المغول، ومنه صفة جنكيز خان والتتر معه، قال ابن أبي الحديد[2]: واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر ﷺ عنه قد رأيناه نحن عياناً، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام، حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام، وفعلوا بملوك الخطا وقفجاق، وببلاد ما وراء النهر، وبخراسان وما والاها من بلاد العجم، ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله، فإن بابك الخرمي لم تكن نكايته وأن طالت مدته نحو عشرين سنة إلا في إقليم واحد وهو أذربيجان، وهؤلاء

١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ج٢، ص١٠

٢- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٨، ص٢١٨

دوخوا المشرق كله، وتعددت نكايتهم إلى بلاد إرمينية وإلى الشام، ووردت خيلهم إلى العراق، وبخت نصر الذي قتل اليهود إنما أخرب بيت المقدس، وقتل من كان بالشام من بني إسرائيل، وأي نسبة بين من كان بالبيت المقدس من بني إسرائيل إلى البلاد والأمصار التي أخربها هؤلاء وإلى الناس الذين قتلوهم من المسلمين وغيرهم).

وفي خلاصة الأمر، إن كلام الإمام عليه السلام في أحداث المستقبل جزء مما تعلمه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو وصيه وعيبة علمه ومستودع أسراره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصـــادر

١- القرآن الكريم.
٢- نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق فارس الحسون، مركز الابحاث العقائدية.
٣- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ابو نعيم الاصفهاني، مكتبة الخانجي، القاهرة - دار الفكر بيروت - ١٩٩٦
٤- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري، تحقيق ونشر: دار الحديث ١٤١٦هـ
٥- الاصمعي حجة الادب ولسان العرب، الدهماني، أمواج للنشر - الاردن ٢٠١٣.
٦- فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب السلفية - ٢٠١٠.
٧- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، تحقيق موسوعة ال البيت لاحياء التراث، ٢٠١٤.
٨- أعيان الشيعة، محسن الامين، تحقيق : حسن الامين ، دار التعارف- بيروت.
٩- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي، وزارة الارشاد الاسلامي - ايران ١٣٦٥
١٠- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري ، دار الحديث القاهرة - ١٤٢٣
١١- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، مكتبة المرعشي النجفي، رقم ١٤٠٦
١٢- تفسير العدل الاعتدال ، محمد بن عاشور، الكلمة نغم، مصر ٢٠١٤.
١٣- اسد الغابة، ابن الاثير، تحقيق علي محمد عوض، دار الكتب العلمية ١٤١٥.
١٤- معالم الفتن، سعيد ايوب، مركز الابحاث العقائدية، ١٤١٤هـ.
١٥- مسند الإمام علي ع، حسن القبانجي، تحقيق طاهر السلامي، الاعلمي - بيروت ٢٠٠٠هـ.

am | AGENCY
1443 2690 078 · وكالة آي ام الإعلانية